مكانية لهجات الاحتجاج
عند النحاة

د/ إدريس حمروش
المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية
قسنطينة

اللهجة في اللغة العربية مأخوذة من "لهج الفصيل بأمه" يلهج، إذا اعتاد رضاعاها، فهو فصيل لا هج.

كما تؤخذ اللهجة من قولهم "لهج بالأمر" لهجا ولَهْوَج وأَلْهَجَ، يعني أولع به واعتاده أو أغري به فثابر عليه، واللّهج بالشيء: الولوع به[1].

فاللهجة هي ما يأخذها الإنسان يجعل عليها من صغره ويعتاد عليها، وقد اصطلح على تعريفها، بأنها العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة.

فاللهجة تندرج ضمن منظومة لغوية واحدة، ولكن يسود بين ألسنة المنظومة الواحدة اختلافات صوتية ودلالية كما يقول فندريس عن اللغة الفرنسية: «إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات»[2].

مثل ما يقع في العربية في قراءة "هَيْتَ" في قوله تعالى: ﴿وقالت: هَيْتَ لك﴾[3]، فقيل هي لغة لأهل حوران سقطت إلى مكة فتكلموا بها وأهل المدينة يقرأون "هِيتَ" لك بكسر الهاء، ولا يهمزون، وذكر علي بن أبي طالب وابن عباس أنهما قرأ "هئت لك" يراد بها تهيأت لك[4].

كما ورد من معانيها "هَلُمَّ" لقول الشاعر:

إن العراقَ وأهلهُ سلم عليك فَهَيْتَ هَيْتَا

فالهجة قد تختلف عن غيرها من اللهجات لما تجمعه من خصائص وميزات ولكنها ترتبط بأصل عام مع سائر اللهجات، بحسب قربها وبعدها من اللغة الأم، لأن اللهجة قد تتميز ببعض الخصائص ـ تقل أو تكثر ـ التي ترجع إلى بنية الكلمات ونسجها أو معاني بعض الكلمات ودلالتها، ومتى كثرت هذه الصفات تبعد اللهجة عن أخواتها، حتى تصبح اللهجة لغة قائمة بذاتها[5].

ولكن أن تصبح اللهجة تضم كل عناصر الإفادة وتستقل عن اللغة الأم،

فهذا لا يَصْدَقُ عن اللهجات التي كانت تسود القبائل العربية، ولا حتى ما يعرف باللهجات الحالية كاللهجة الجزائرية والتونسية والمصرية..الخ. لأن هذه اللهجات ترتبط بأصل عام وهو اللغة العربية الفصحى التي ضمنها القرآن الكريم، ولكنه قد يصدق على تلك اللغات المتفرعة عن اللاتينية كالإيطالية والفرنسية والبرتغالية..الخ، التي قد تكون لهجات تطورت واستقلت على اللغة الأم، رغم ما يسود فيما بينها من تشابه في الحروف وبعض صفاتها وهذا ما لا نعنيه في موضوعنا.

النحاة الأوائل واللهجات

اعتنى النحاة الأوائل بالقبائل العربية الموثوق بفصاحتها وطريقة نظمها، وذلك بإلاماهم بآثار العرب شعرهم ونثرهم وأيامهم.

فقد تفطن عبد الله بن أبي إسحاق (ت 117 هـ) إلى فكرة الاحتجاج بكلام العرب، وإن قلّ وشذّ إذ كان يحمل ما لم يسمع عن العرب على ما سمع عنهم، فيروى أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة "الصّويق" قال: قلت له: هل يقول أحد الصّويق؟ بالصاد يعني السويق، قال: نعم عمر بن تميم تقولها؛ وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب في النحو يطرد وينقاس[6].

أي إجراء القباس ما لم يسمع على ما سمع واطرد من كلام العرب، وهو ما صار يعرف لاحقا عند ابن جني ما قيس على العربية فهو من العربية.

أما أبو عمرو بن العلاء سيد الناس وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب الناس، فقد قال بعض معاصريه: «أخبرني عما وضعت مما سيئته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال له كيف تصنع فيها فالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعلم على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات[7].

كما رحل يونس بن حبيب إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا، مما جعله راويا كبيرا من رواة اللغة والغريب[8].

أما الخليل بن أحمد الفرهيدي (ت 175 هـ) فقد أخذ اللغة عن العرب

المخلص ممن يوثق بفصاحتهم، فقد استقرى كلام العرب ولغتهم من قبائل نجد وبوادي الحجاز وتهامة، كما رحل إلى قبائل تميم وقيس وأسد وطيئ وهذيل وبعض كنانة، ويقال أن الكسائي سأله وقد بهره كثرة ما يحفظ، من أين أخذت علمك هذا؟ فأجابه: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة[9].

وبهذا يكون النحاة الأوائل قد حدوا حدود الفصاحة، ومظان انتقاء اللغة العربية وعلومها، ممن كان يعني الخروج عن الرقعة الجغرافية والحدود المكانية، قد يوقع صاحبه في اللحن والخروج عن اطراد اللغة وجريانها.

فهذه حدود الفصاحة في قبائل بعينها حتى يجعل منها مصدرا لبناء النحو استقراء أحكامه وجريانه على مجموعة كلام العرب.

القبائل المحتج بها في نص الفارابي

لعل أقدم نص يُحَدِّدُ فيه مكانية الاحتجاج في وضع القواعد لقبائل بعينها، هو ذلك النص المنسوب إلى الفارابي الذي ورد في كتابه "الألفاظ والحرف" وقد أورده السيوطي في المزهر والاقتراح ما في معناه. يقول الفارابي في "الألفاظ والحروف" : «وأنت تتبين ذلك، حتى تأملت أمر العرب في هذه الأشياء؛ فإن فيهم سكان البراري، وفيهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين، وكان الذي تولّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، وتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم، ومن أشدهم توحشا وجفاء، وأبعدهم إذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطئ ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نُقِلَ عنه لسان العرب، والباقون، فلم يؤخذ عنهم شيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطبقة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانين وأهل الشام وأهل مصر»[10].

أما النص الذي أورده السيوطي، فهو أكثر تحديدا وإبانة لحدود مكانية الاحتجاج وشروط الأخذ عن القبيلة من عدمها، كما تضمن أحكاما لم ترد في النص الذي سبق ذكره، يقول السيوطي: « وقال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على النطق، وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم أقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما اخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر، والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون في صلاتهم بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر، لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزدعمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل الطائف، فمخاطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين أبتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم... والذي نقل اللغة واللسان العرب عن هؤلاء وأثبتها في كتاب وصيّرها علما وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب»[11].

هذان النصان وإن كان لا يعنينا كثيرا التحقق من الأصل منهما، وما يصحب عادة من تساؤلات عن النصوص المحققة، ولكن النصين تضمنا أحكاما وحدودا مكانية للاحتجاج بكلام العرب، يمكن مناقشتها في القضايا التالية:

1 ـ وصف النص الذي نقله السيوطي بأن "لغة قريش" هي الأجود والأنقى

والأفصح، فلا بها عنعنة ولا عجرفية وكسكسة[12].

وعنها أخذت الوفود العربية من حجاجها وغيرهم، لّما كانوا يفدون مكة ويتحاكمون لقريش في دارهم، وكانت قريش على رقة لسانها وفصاحتها، تتخير من لغات الوفود أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، وتجعله في لغتها في صارت أفصح العرب ولغتها هي لغة التفاهم والتواصل بين القبائل العربية.

وذهب بعض العلماء في جعل الفصحى في قريش، إذ نزل القرآن الكريم فحوته بألفاظها وأساليبها ثم اتسعت ألفاظه إلى سائر القبائل تسهيلا وتيسرا يقول السيوطي: «أنزل القرآن، أولا بلغة قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالهم على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، و لم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية»[13].

وتحدث الزركشي عن لغة القرآن فقال: «المعروف أنه بلغة قريش»[14].

وأورد العسقلاني في رواية عن أبي داود قال: «إن عمر كتب إلى ابن مسعود أن القرآن نزل بلسان قريش، فاقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل، وأما عطف العرب عليه فمن عطف العام على الخاص، لأن قريش من العرب»[15].

وقد أيد هذا الزعم ابن فارس في اختيار لغة قريش الأجود وانتقاء للأفصح وجعلها محل اجماع من علماء العربية بقوله: «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم منهم نبي الرحمة محمد ﷺ فجعل قريشا قطان حرمه، وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرها يفدون إلى مكة للحج... فيتخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم، التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب»[16].

وقبل أن نخلص من هذه النصوص التي تكاد تعقد الفصاحة في قريش، نورد نصا للدكتور طه حسين يقول فيه: «الواقع أن لدينا نصوصا صحيحة تمثل لغتين مختلفتين كانتا شائعتين في بلاد العرب، أحداهما لغة الجنوب التي أشرنا إليها وأثبتنا بعض نصوصها، والثانية لغة الشمال وأقدم النصوص الصحيحة التي عندنا من هذه اللغة والتي لا تقبل صحتها لا شكا ولا ريبه إنما هو القرآن الكريم، فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة، وأمام قرشية النبي ﷺ من جهة أخرى، وأمام نزول القرآن في قريش من جهة ثالثة، وأمام فهم قريش للفظ القرآني من غير مشقة ولا عنف من جهة رابعة، وأمام اتفاق القرآن في اللغة واللهجة مع ما صح من حديث النبي القرشي، ومن الرواية عن أصحاب القرشيين من جهة خامسة إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قريش»[17].

هذه النصوص الهائلة والتي تجمع أن الفصاحة في قريش، ولكن على كثرتها وتنوع مصادرها من القديم والحديث، لم تقدم الأدلة الكافية للاطمئنان لأحكامها وأن الفصحى في قريش، بل تحمل هذه النصوص أدلة وقرائنا تقرر عكس ما ذهبوا إليه، فهي تكاد تكون خالصة لقبائل غير قريش، بل إننا لم نسمع عن شاعر جاهلي قرشي فحل، ولا نكاد نظفر من العصر الجاهلي بنص أدبي ذي بال بنسبه الرواة إلى قريش، وفي مقابل هذه الصورة القرشية الخالية من النشاط الأدبي نجد الشعر في قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية، بل إننا لنجد الشعر حتى على ألسنة العباديين في العراق، وعلى مسامع الغسانيين في الشام[18]، وحتى نص الفارابي الذي استهل بوصف لغة قريش بالأفصح والأجود، لكنه في تحديده للقبائل التي أخذت عنها اللغة العربية ذكر قيسا وتميما وأسدا ثم هذيلا وبعض كنانة وبعض الطائيين.

وحتى التحضر والمخالطة اللذان جعلهما الفارابي مقياسين للفصاحة

والاحتجاج عند النحاة، لم تسلم منهما لغة قريش، فقد كانت محلا للوفود العربية، ومن هذه الوفود ممن لا يوثق بعربيتها، كما يؤكد أن قريش كانت أهل تحضر، فهي قبلة عرب الجزيرة العربية، بينما اللغة أخذت عن أهل البدو، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم[19].

وقد كان يتفاخر البصريون على الكوفيين قائلين: «إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وهؤلاء "يعني الكوفيين" أخذوا اللغة عن أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز»[20].[21].

2 ـ أما عن كون النبي ﷺ منهم، وهو أفصح العرب فمنهم أخذ اللغة والفصاحة والبيان، فقد أومأ إلى أن الفصاحة في غير قريش لقوله: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وأني نشأت في بني سعد بن بكر»[22].

و"بيد" تفيد معنى "غير" في أسلوب شبه استثنائي، وأشار في المقابل إنه أخذ الفصاحة عن بني بكر ـ وكان مسترضعا فيهم ـ وهم الذين قال عنهم أبو عمرو بن العلاء: «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم»[23].

3 ـ أما هن قوله تعالى: ﴿إلا بلسان قومه﴾[24]، فإن قومه هنا العرب جميعا لا قريش فقط، وعن ابن عباس قال: «نزل القرآن على سبعة أحرف، أو قال: سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن الذين يقال لهم "عليا هوازن" وهي خمس قبائل أو أربع منها: سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف»[25].

وقد حددت أحرف القرآن ولغاته "بالسبع" من باب السعة، فالقرآن كان ممثلا للغة العربية النموذجية الموسعة الذائعة في القبائل العربية، وليس بلغة قريش دون غيرها، فقد أحصى الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي عددا استعمالات كل لهجة في القرآن، فقد وردت فيه أربع وستون لهجة بين لهجات الأماكن والقبائل المتعددة[26].

وقد اتسع القرآن الكريم إلى لغات توصف بالشذوذ مثل (إن هذان لساحران) و(أسروا النجوى الذين ظلموا) (وقتل أولادهم شركائهم)..

4 ـ أما عن التحديد المكاني في الذين نقلت عنهم اللغة من قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، غير دقيق فقد أخذ سيبويه اللغة بكثرة عن بني تميم واهل الحجاز، ثم أسد، كما ذكر قبائل أخرى ما يفوق مائتين قبيلة وطائفة[27]، وكان يؤمئ لهذه القبائل بقوله وقد سمعناهم يقولون[28]، أو أنه سمع بعض العرب[29]، أو حدثنا من يوثق به أن بعض العرب[30].

بل قد استشهد سيبويه بأبيات لا يعرف لها نسبة، فقد سأله الجرمي عن شواهده، فقال: «السيبويه ألف وخمسون بيتا، سألته عنها فعرف ألفا و لم يعرف الخمسين»[31].

فقد أورد بيتا غير معروف، وهو قول الشاعر[32]:

استغفر الله ذنبا لست محصيه ربّ العباد إليه الوجه والعمل

وأصله "من ذنب" نصب "ذنبا" على نزع الخافض، وتعدى الفعل إلى نصب المفعولين، وأقام بذلك قاعدة تجيز النصب على نزع الخافض مستندا على بيت لا يعرف له قائل، كما استشهد ببيت محذوف الشطر الثاني، وغير منسوب، وهو قول الشاعر[33]:

مواعيد عرقوب أخاه بيشرب

كما أقام قاعدة نحوية على بيت مجهول القائل واتبعه ببيتين لشاعرين لا ينتميان للقبائل التي حددها الفارابي للاحتجاج، وهو قول الشاعر[34]:

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار

فجاءت "الليلة" مجرورة بالإضافة وأصلها مفعول به أول ونصب المفعول الثاني "أهل"، وأقام قاعدة مفادها أنه يجوز في الاسم المتعدي فعله إلى مفعولين و لم يكونا منونّا أن يجر الأول وينصب الثاني وليس العكس، وأورد قول الشماخ[35]:

رُبَّ ابْنِ عمٍّ لِسُلَيْمَى مُشْمَعِلٌّ طَبّاخِ سَاعَاتِ الكَرَى زَادَ الكَسَلَ

وقول الأخطل[36]

وَكَرَّارِ خَلْفَ الْمُحْجَرِينَ جَوَادَهُ إِذَا لم يُحامِ دُونَ أُنْثَى حَلِيلهَا

وتبعه الأخفش مخرق تحديد القبائل المشار إليها، واستشهد بشعر لا يعرف له قائل قول الشاعر[37]:

يا عَاذِلَاتِي لا تُرِدنَ مَلَامتِيّ إنّ العَواذلَ ليس لي بأمير

وكذا فعل الكوفيون الذين «لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه»[38]، وقد أخذوا عن أعراب الحطمة[39] وهم بطن من عبد القيس، وقد احتُكِمَ إليهم في المسألة الزنبورية[40] المشهورة، التي ناظر فيها الكسائي سبويه، وهم أهل حضر لا يعتد بأقوالهم عند البصريين ولا يحتج به.

هذا التنوع المكاني للاحتجاج، دون أن يقتصر على القبائل المشار إليها وهي قيس وتميم وأسد وكذا بعض الطائيين وبعض كنانة وهذيل، واتسع في ذلك حتى قبائل أيّاد والغساسنة وهم مجاورون للعجم، ولا غرابة في ذلك لأن الأساس الذي ترتكز عليه قضية الاستشهاد والاحتجاج عند النحاة هي "السليقة اللغوية" وانفياذها واطرادها مع المادة اللغوية، فإن تحقق انسجام الشاهد مع ما عليه العرب حتى وإن كان لقبائل لا تتحقق فيها شروط فصاحة الفارابي يعمل به ويكون مصدرا للحكم النحوي، ولا يلتزم بالتحديد المكاني المحصور في قبائل عربية بعينها، بمعنى أن النحاة اعتمدوا في تعقيد قواعد اللغة العربية على لهجات عدد من القبائل العربية، ثم أضافوا شرطا هاما، وهو شرط الفصاحة وجريان الشاهد اللغوي واطراده على ألسنة العرب، فإذا وجد شاهدا حتى وإن كان خارجا عن التحديد المكاني، ولكنه ينسجم مع اللغة الفصحى التي تجري عليها قواعد اللغة العربية يعمل به ويصح للاحتجاج.

فكانت أمور اللغة أولا تروى بالسماع البحث، ثم يخضع هذا المسموع إلى قانون اللغة المطرد الذي يجري على ألسنة العرب، فما ثبت يعمل به ويحتج به، وما

خالف ذلك وصف بالشذوذ يطرح أو يستشهد به في مثله، وقد عقد السيوطي مقارنة بين عمل اللغوي والنحوي، وعمل المحدث والفقيه بقوله: «اعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي، ويقيس عليه، أما المحدث والفقيه، فشأن الحدث نقل الحديث برمته، ثم إن الفقيه يتلقاه ويتصرف فيه ويبسط فيه علله، ويقيس عليه الأمثال والأشباه[41].

لكن ما هو مقرر أن كل اللهجات العربية على درجة من الفصاحة لا يطعن في قول لها أو أثر لها، فالسليقة العربية هي الأساس في الاختيارين شواهد اللغوية، وإن كان توجد من الفروق الاختلافات بين هذه اللهجات، ولكن لا يرد لها احتجاج ما دام يجري على ألسنة العربية وقانونها المطرد، ولذلك عقد ابن جني بابا في الخصائص أسماه "باب شجاعة العربية" وقال: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[42].

فهذه هي شروط الاحتجاج عند نحاة العربية بالإضافة على شرط الفصاحة والسليقة اللغوية، أضافوا شرطا ثانيا وهو اطرادها وانسجامها مع الغالب من كلام العرب، حتى يبنوا قواعد اللغة وفق منهج يسود الانسجام والاطراد، فإن وجدوا ما يشذ عنه أولوه وقدروه أو طرحوه ووصفوه بالشذوذ.

شروط اللهجة الفصيحة

وقد أجرى النحاة واللغويون شروط للفصاحة وما يعقد الاحتجاج به وإن كان لم يفردوها بشروط صريحة إلا بمجيء ابن جني إذ وضع في ذلك بابا في اختلاف اللغات وهي كلها حجة، وهو يهدف بذلك إلى جواز العمل باللهجات كلها، متى تحققت شروط الفصاحة والسليقة اللغوية، و التي حدها فيما يلي:

1 ـ تقبل اللهجة أو اللهجات إذا كانت على قدر واحد من الاستعمال والقياس ومثل ذلك بـــ"ما" التميمية والحجازية، فهي عند تميم يترك عملها ولا

يقبلها القياس، وتعمل عند الحجازيين ويقبلها القياس، وقد رجح بينها ما قوي قياسها وقيل به، أو ما قررته النصوص الموثوق بصحتها وعرفت بقوة بيانها، كتفضيله للاستعمال القرآني بقوله: «إنك إذا استعملت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله على ما كثر استعماله، وهو اللغة الحجازية، ألا نرى أن القرآن بها نزل»[43].

2 ـ إذا كانت إحدى اللهجتين أكثر استعمالا وأقوى قياسا من الأخرى، فالمختار الأكثر استعمالا الأقوى قياسا، قال: فأما أن تقل إحداهما جدا، وتكثر الأخرى جدا، فإنك تأخذ بأوسعها رواية، وأقواهما قياسا، ألا تراك لا تقول: مررت بك ـ بفتح الباء ـ ولا المال لك ـ بكسر اللام ـ قياسا على قول قضاعة، المال له ـ بكسر اللام ـ ومررت به ـ بفتح الباء ـ ولا تقول: أكثر منكشى قياس على لغة من قال: مررت بكش، وعجبت منكش[44].

3 ـ جواز استعمال اللهجة القليلة الاستعمال، الضعيفة القياس في الشعر والسجع، وهو مقبول عنده عند الاحتجاج إليه وغير منهى عليه، فهو في ذلك جرى على لهجات العرب وسننها، فلوا استعملها إنسان لم يكن مخطئا لكلام العرب، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ.

والجودة تأتي بكثرة الاستعمال، وقوة القياس، وهذا فيما وضع في عصور الاحتجاج، أما كلام المولدين فلا يحتج به[45].

خاتمـــــة

ومن خلال ما تقدم نتبين أن النحاة وضعوا جملة شروط للأخذ بالشاهد اللغوي وجعله مصدرا يجري عليه القياس، وهي:

- عدم تسرب اللحن إلى ألسنة القبيلة، التي هي مصدر الشاهد النحوي والمادة اللغوية التي يجري عليها القياس.
- أن من القبائل العربية ما كانت الأنموذج في الفصاحة ورقي اللغة فكانت لها الغلبة والكثرة فيما استشهد به النحاة من أشعار، ولكن لم تكن الفصاحة معقودة عليها دون سواها.
- عمل النحاة بمبدإ أن القبائل العربية كلها فصيحة، ما لم تشذ على ما عليه الشائع والكثير من كلام العرب، فمتى كان الشاهد الواحد يجري على مجموع كلام العرب، فهو فصيح يقاس عليه.
- أن النحاة أضافوا لشرط الفصاحة وإجراء القياس موافقة العربية المتمثلة في قواعدها المبنية على الكلية من الكلام العرب، لأن القياس عند النحاة فيه ما يجري على الشائع من كلام العرب، وفيه ما يجري على القواعد النحوية المقررة والمبنية من استقراء كلام العرب.

الهوامش

(1) - تهذيب اللغة 6/ 54-55.

(2) - اللغة، فندريس، ص310.

(3) - سورة يوسف، الآية: 23.

(4) - معاني القرآن للفراء، 40/2.

(5) - القراءات واللهجات، ص5.

(6) - طبقات فحول الشعراء، 15/1.

(7) - طبقات النحويين واللغويين، ص39.

(8) - المدارس النحوية، ص28.

(9) - إنباه الرواة، 258/2.

(10) - كتاب الحروف، ص147.

(11) - الاقتراح، ص44.

(12) - الصاجي، ص56.

(13) - الإتقان، 47/1.

(14) - البرهان، 283/1.

(15) - فتح الباري، 7/9، 8.

(16) - الصاجي، ص52.

(17) - من تاريخ الأدب العربي، 19/1.

(18) - أصول تمام، ص75.

(19) - الاقتراح، ص19.

(20) - الكواميخ: جمع كامخ وهو مخلل يشهي الطعام. مادة "كمخ" لسان العرب، 2828/5.

الشواريز: جمع شيراز هو اللبن الرائب المستخرج ماؤه، "الشرز" القاموس المحيط، 178/2.

(21)- الفهرست، ص86.

(22)- الصاحبي، ص61.

(23)- الصاحبي، ص61.

(24)- سورة إبراهيم، الآية: 04.

(25)- الصاحبي، ص61.

(26)- لهجة القرآن الكريم بين الفصحى ولهجات القبائل، حوليات دار العلوم، 1970/69.

(27)- الكتاب، 195/5.

(28)- الكتاب، 160/1.

(29)- الكتاب، 255/1.

(30)- الكتاب، 364/1، 255/1.

(31)- طبقات النحويين واللغويين، ص75.

(32)- الكتاب، 37/1.

(33)- الكتاب، 272/1.

(34)- الكتاب، 175/1.

(35)- الكتاب، 177/1.

(36)- الكتاب، 177/1.

(37)- معاني القرآن للأخفش، 643/2.

(38)- الفهرست، ص86.

(39)- ويقال لهم حطمه بن محارب، لسان العرب، مادة "حطم"، 917/2.

(40)- طبقات النحويين واللغويين، ص69، 70.

(41)- المزهر، 59/1.

(42)- الخصائص، 11/1.

(43)- الخصائص، 125/1.

(44)- الخصائص، 10/1.

(45)- الخصائص، 12/2.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- تهذيب اللغة للأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.
- لسان العرب، لابن منظور، طبعة بولاق، مصر، بيروت1956.
- اللغة تندرس، ترجمة: عبد الحمن الدواخلي، ومحمد القصاص، لجنة البيان العربي، 1950.
- القراءات واللهجات، الأستاذ عبد الوهاب محمود، مطبعة السعادة، مصر.
- معاني القرآن للفراء، طبعة دار الكتب المصرية، 1956.
- مراتب النحويين، أبو الطيب، الحلبي، نهضة مصر، 1954.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تحقيق: الأستاذ: محمود شاكر، دار المعارف، مصر، 1952.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد الزبيدي، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
- المدارس النحوية، شوقي ضيف، طبعة الخامسة، دار المعارف، مصر.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي.
- كتاب الحروف، الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق ، طبعة الثانية.
- من تاريخ الأدب العربي، د.طه حسين، دار صادر، بيروت، 1971.
- الصاجي، أحمد بن فارس، تحقيٌ: د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1964.
- الاقتراح، السيوطي، تحقيق: أحمد محمد قاسم، جرس برس، 1988.
- الفهرست، ابن النديم، أبو يعقوب محمد بن إسحاق، مطبعة الاستقامة، مصر.

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار مكتبة التربية، بيروت، لبنان.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، الطبعة الأولى، الحلبي، مصر، 1951.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الحلبي، 1958.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، طبعة بيروت.
- الكتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة الحلبي.
- الخصائص ابن جني، طبعة دار الكتب المصرية.
- الأصول: دارسة بيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق: عبد المنعم الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت.

الدوريات

حوليات دار العلوم، 1970/69، لهجة القرآن الكريم بين الفصحى ولهجات القبائل، د.علم الدين الجندي.